جامعة مولود معمري–تيزي وزو

مخبر الممارسات اللغوية

مجلة

الممارسات اللغوية

العدد التاسع (09)

2012

مناهج البحث في علم اللهجات : أهداف و مشاكل

Dialectology researches methodologies
Aims and problems

الأستاذ: فريد داودي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

ملخص: يهدف هذا المقال إلى إثراء موضوع مناهج البحث في علم اللهجات وخاصة الجانب الميداني منها حيث يجد الباحث نفسه أمام صعوبات في سبر الآراء وطرح الأسئلة ولاسيما تلك التي تهدف إلى جمع أكبر كمية من المعلومات التي تخص تنوع لغوياً واحدًا أو أكثر. فالسؤال الذي يُطرح دائما هو: ما هي الطريقة العلمية المثلى والأكثر فعالية في الدراسة الميدانية لعلم اللهجات

Abstract

This research paper aims at giving a brief idea about Dialectology as a concept and a science that has got a specific place in Algeria thanks to the different dialects and their degree of complexity that lead to specific language behaviour in Algeria.

It also deals with some examples from different obstacles that are facing the researcher in the field of dialectology in Algeria especially: the problem of data collection, questionnaires

Recordings.....

1- **علم اللهجات: المفهوم والوظيفة:** علم اللهجات أو DIALECTOLOGY من الإغريق **ديالكتوس** حوار أو الكلام **ولوجيا** أي

علم) هو علم يهتم بدراسة اللهجات، أو كما يعرفه بيتر ترودجل (Peter Ttrudgill)[1] على أنه الدراسة الأكاديمية للهجات وغالبا ما هو مرتبط بالدراسة الصوتية المعجمية للهجات التقليدية الريفية، وهي المصدر الأصلي لهذا العلم إلى جانب التوزيع الجغرافي الخاص للهجات التقليدية أما في السنوات الأخيرة فقد اهتم علم اللهجات بالخصائص النحوية مع علم اللهجات الحضري وعلم اللهجات الاجتماعي إلى جانب التوزيع الاجتماعي للأشكال اللسانية.

إن أول الدراسات اللهجية في العالم الغربي بدأ في العقد الثاني من القرن التاسع عشر مع جورج وينكر Georg Wenker (1876) حين اهتم بالاختلافات اللفظية الموجودة بين سكان شمال ألمانيا فكان المنطلق الأول لعلم اللهجات حيث أصبح محل اهتمام علماء اللغة إلى درجة أنه في أقل من 30 سنة تمكن جوزيف رايت Joseph Wright 1905 من إنهاء معجم من ستة أجزاء حول اللهجات الانجليزية بعنوان English Dialect تم يتجه بعد ذلك في الثلاثينات: الأطلس اللغوي للولايات المتحدة Linguistic Atlas of the United states . ومن خلال هذه الأعمال أصبح الاهتمام الأكبر لعلماء اللهجات هو تحديد اللهجات أو التنوعات اللغوية حسب تواجدها الجغرافي في مناطقها المعينة، كما شرحه ترودقل(Peter Ttrudgill) من قبل، مدى اهتمامهم باللهجات الريفية التقليدية أنها أصلية كما هو الشأن بما أصدرته جامعة ليدز في الخمسينيات The survey of English Dialects وهذا ما يؤدي إلى بعض الباحثين باقتناعهم أن علم اللغة الاجتماعي هو منحدر من علم اللهجات.

أما في العالم العربي، فقد اهتم العلماء القدامى باللهجات واللغة كفروق لغوية يتميز بها جمع من الناس من منطقة إلى أخرى فمن سيبويه وابن جني، مرورا بالمبرد والعسكري والجرجاني وغيرهم من سادة علماء اللغة كلهم

اعتبروا دراسة اللغة أحد أعمدة العلوم، إلاّ أنهم لم يحددوا في أبحاثهم علم اللهجات كعلمٍ قائمٍ بداته فما جاء في كتاب **الخصائص** لإبن جني[2] عن اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ما هو إلا دليل على درجة تحكم العلماء العرب في هدا المجال ، فمن خلال هذا التعريف للغة حدد لنا ابن جني فيها الجوانب الخاصة التي لا بد من دراستها؛ الجانب الصوتي (الأصوات) تم الجانب الاجتماعي (القوم) والجانب الجغرافي والدلالي.

وحتى إذا كان هذا التعريف ينطبق أكثر على اللغة، فهو ينطبق بدلالته على المحاور أو الجوانب التي يعتمد عليها الباحث في علم اللهجات والدليل على ذلك ما جاء في باب **اختلاف اللغات وكلها حجة**[3]:

'اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال ما يقبلها القياس ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يأخذ به ويخلد إلى مثله. وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها. لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسابها. فأما رد إحداهما بالأخرى فلا. أولا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف). هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين فأما أن تقل إحداهما جدا وتكثر الأخرى جدا فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياسا ألا تراك لا تقول: مررت بك ولا المال لك قياساً على قول قضاعة المال له ومررت به ولا تقول أكرمتكش ولا أكرمتكس قياساً على لغة من قال: مررت بكش وعجبت منكس. حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجع قيس وعجرفة ضبة وتلتلة بهراء. فأما عنعنة تميم فإن تميماً تقول في موضع أن: عن تقول: عن عبد الله قائم

وأنشد ذو الرمة عبد الملك: أعن ترسمت من خرقاء منزلة قال الأصمعي: سمعت ابن هرمة ينشد هارون الرشيد: أعن تغنت على ساق مطوقة ورقاء تدعو هديلا فوق أعواد وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون بكسر أوائل الحروف. وأما كشكشة ربيعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث انكش ورأيتكش وأعطيتكش تفعل هذا في الوقف فإذا وصلت أسقطت الشين. وأما كسكسة هوازن فقولهم أيضاً: أعطي تكس ومنكس وعنكس وهذا في الوقف دون الوصل. فإذا كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين. فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعي عليه. وكذلك إن قال: يقول علي قياس من لغته كذا كذا ويقول على مذهب من قال كذا كذا. وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيراً منه' ومن هنا، نستطيع أن نستنتج أن الدراسات العربية القديمة مع أنها كانت السباقة في مجال دراسة اللغات إلا أنها لم تعن كثيرا بالفصل بين الدراسات اللغوية واللهجية، مما خلق نوعا من الخلط والالتباس بين المصطلحات. وهذا ما أشار إليه أ.د. عبد الجليل مرتاض (2002)□ :'... و هذه الإلتباسات أكثر ما نعثر عليها فيما يصدر عن العرب دون الغربيين من مؤلفات ومقالات، ولذلك لا تعجب كثيرا إذا كنت لا تعدم عناوين في اللهجات.... بالقياس إلى ما يوجد من تكلمات لهجية عربية قد تعد بالآلاف... '

أما د.صادق عبد الله أبو سليمان[5] فيعرفه بأنّه علم يدرس خصائص اللهجات في اللغة الواحدة كما يظهر في الفروق الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ويرجع الفضل في ظهور هذا العلم واستقراره لعلم اللغة التاريخي.

إلا أن ما يعانيه الباحث قبل كل شيء هو صعوبة جمع المادة الأولية لبحثه، فأساس البحوث في علم اللهجات هو الاعتماد على جمع المعطيات للهجة أو لهجات معينة في مناطق معينة من خلال تسجيلات أو طرح أسئلة سواء شفهية أو كتابية لنموذج من أفراد المجتمع ؛ وهدا مايعرف بالدراسة الميدانية وجمع المادة ، فما هي أحسن منهجية يتبعها الباحث في جمع وتحليل المعلومات؟

2- مناهجه: سنعرض في هذا البحث ثلاثة مناهج كل واحد منهم يعتمد على طريقة خاصة في جمع المادة ؛ ذاكرين في الوقت نفسه محاسنها ونقاط ضعفها في مجال البحث العلمي اللهجي.

I- **طريقة: المشارك المراقب: participant observation** وهي منهجية تستعمل أكثر في علم الأنتروبولوجيا حيث تعتمد على تقارب الباحث من العينة المراد بحثها دون التدخل فيها. مراقبة من بعيد أو كما يصفها علماء النفس بطريقة ذوبان الباحث في المحيط وهذا أثناء مراقبتهم لتحركات وسلوك الأطفال. لقد أشارت ميلوري[6] Millroy إلى هذه المنهجية مشيرة إلى محاسنها ومساوئها فحددتها فيما يلي:

1/ من محاسنها:

ا- من خلالها نستطيع أن نحصل على عينة من اللغة اليومية

ب- يمكن أن تعطي نظرة دقيقة على الأعراف الاجتماعية والتواصلية للمجتمع.

ج- يمكن أن تفسر مدى أهمية لغة المتكلم في وسط مجتمعه.

2/ نقاط ضعفها:

أ- إن البيانات مهما كانت جيدة، لا يمكن أن تقع ضمن سياق اجتماعي لغوي أوسع إذا لم تكملها بيانات سياقية من دراسات ذات نطاق أوسع

ب- تتطلب هذه الطريقة موارد فردية كبيرة من طاقة ومثابرة ووقت طويل، براعة ومشاركة عاطفية.

ج- مسرفة في مجال البيانات إذ أن كمية البيانات المحصل عليها أكبر من كمية البيانات القابلة للتحليل أي أن الباحث يستلزم عليه جمع أكبر كمية من البيانات للحصول على كمية صغيرة بعد التحليل.

د- صعوبة العثور على عدد كافٍ ومتنوع من المشاركين الذين تتوفر فيهم الصفات والمعايير المطلوبة لعينة سليمة مع كل هذا فإن (ترود قل[7] 1974) نجح من خلال هذه المنهجية في وصف ودراسة عينة محددة للغة الإنجليزية في النرويج بينما لم تنجح كثيرا (ملروي) في دراستها للطبقة العاملة بيفاست بتقديمهم نفسها كصديقة لصديقة حتى تتوطد علاقتها مع هذه الفئة.

II- **طريقة الستار المتطابق أو «Matched-Guise Technique»**: هي طريقة تعتمد أصلا في مجال علم النفس الاجتماعي وهي تعتمد أساسا على ملاحظة مدى تأثير سلوك بعض أفراد المجتمع في الآخرين بتسجيل بعض السلوكيات عن طريق شريط الفيديو أو الصوتي لبعض الأفراد وعرضها على الآخرين من نفس المجتمع لملاحظة رد الفعل.

استخدمت هذه الطريقة في علم اللغة الاجتماعي وخاصة في علم اللهجات لملاحظة مدى قبول أو رفض بعض أفراد المجتمع للآخرين في مجال العلاقة بين اللهجة واللغة واللكنة بتسجيل محادثة أو قراءة نص بطريقة أو لهجة معينة من قبل بعض أفراد المجتمع وعرضها على أفراد آخرين فيلاحظ مدى تقبلهم أو رفضهم لهذه اللغة بالإدلاء برأيهم باللهجة أو اللغة أو اللكنة التي يريدونها ففي نفس الوقت نحصل الباحث على قدر كبير من عينات التنوع اللغوي المراد تحليله إلى جانب تحديد مدى العلاقة بالتنوعات اللغوية الأخرى.

إلا أن هذه الطريقة تستحسن إلا في الدراسات التي تتسم بالعلاقة الموجودة بين اللغة واللهجة أو اللهجات أو بين لغات و لغات أخرى إلى جانب أنها تعتمد أكثر على عينة صغيرة من أفراد المجتمع فهي أكثر شخصية وبعيدة نوعا ما عن الموضوعية.

ومع أن ستيا بلتش[8] Stieblich نجح في تطبيقها على بعض أفراد المجتمع الكندي إلا أن هذه الطريقة تبقى ناقصة شأنها شأن الطريقة الأولى.

III- طريقة المقابلة والاستبيان interview and questioner: من بين المناهج الأكثر شيوعا في علم اللهجات طريقة المقابلة والاستبيان وهي في نفس الوقت طريقتان لكن أساسهما واحد.

01- المقابلة: وهي تعتمد على لقاء بين العينة سواء كانت فرداً أو جماعة بالباحث يتم من خلاله جمع معلومات شفوية مباشرة من العينة ومن شروطها أن تكون موضوعية هادفة محددة ومن مزاياها:

- كمية المعلومات كبيرة تسمح للباحث أن يحللها
- تمكين الباحث بتسجيل انفعالات وسلوكيات المبحوث مباشرة حسب الموضوع.
- تعفي المبحوثين من الإدلاء بآرائهم كتابيا إذا لم تكن رغبتهم خشية تسجيل أرائهم خطأ.

أما من عيوبها فهي:

- تكلفتها مرتفعة بالمقارنة مع الاستبيان
- تحيز من قبل الباحث أو المبحوث
- إعطاء بيانات خاطئة للباحث نظرا للعلاقة غير الوطيدة الموجودة بين الباحث و المبحوث

02- الاستبيان: هي عملية استجواب يتم من خلالها طرح الباحث عدداً معيناً من الأسئلة على المبحوث وهذا من خلال استمارة أسئلة يجيب عنها المبحوث وهي كما فسرها فرانسيس FRANCIS[9] نوعان مباشرة وغير مباشرة، فغير المباشرة يعتمد فيها الباحث على إرسال الاستمارة عن طريق البريد أو توزيعها للمبحوثين على أن ينتظر ردهم. أو بطريقة مباشرة وهي طريقة

قريبة من المقابلة؛ حيث يسأل الباحث المبحوث ويسجل في الاستمارة مباشرة ومن عيوبها:

- كتابة الأجوبة غير لائقة خاصة إذا كانت استمارة الأجوبة لا تتطلب بيانات شخصية للمستجوب.

- أجوبة غير موضوعية حيث في بعض الأحيان، يحاول المستجوب، من خلال أجوبته، إرضاء الباحث.

- تأثير الباحث على المستجوب سواء بطريقة طرح الأسئلة أو مثلا بمنظره و في هذا المجال يقول أو بنهايم Oppenheim[10]: كل محاور يجب أن يتعلم كيف يواجه التحيزات والتشوهات التي تخلف هذه المشاكل.

أما من عيوب طريقة المقابلة والاستبيان فهي:

- عدم توازن العلاقة بين الباحث والمبحوث، فسواء كانت المقابلة حرة أو مقيدة، وسواء كان الاستبيان مباشراً أو غير مباشر فإن هناك علاقة سائل ومستجوب وهنا في بعض الأحيان يجد المبحوث نفسه وكأنه في امتحان شفوي أو كتابي، فيرتبك أحيانا أو يحاول إنهاء هذه العملية في أقل وقت ممكن.

- طريقة إلقاء الأسئلة: خاصة في علم اللهجات حيث إن المقابلة أو الاستبيان المباشر لا بد أن يكون بطريقة لا تؤثر على المستجوب؛ ففي بعض الأحيان يتبع المستجوب طريقة كلام الباحث وإذا تكلم الباحث باللغة العربية فطريقة الجواب تكون غالبا بنفس اللغة إذا كانت بلهجة معينة تكون الأجوبة بنفس اللهجة أو ما يقاربها وهذا حتى وإن لم يكن المستجوب يحسن هده اللغة أو اللهجة وربما ما نراه غالبا في المقابلات التلفزيونية لأكبر دليل على ذلك.

ومن هنا نستخلص أنه لا توجد منهجية مثلى في جمع المادة ولكل منهم نقائص وعيوب مما يجعل للباحث مشكلة في تدقيق المعلومات أكبر شغله في تحليلها و لهذا فالطريقة المثلى للباحث في علم اللهجات هو استعمال هذه المناهج الثلاثة في آن واحد أو بالترتيب، إذ يستعمل الباحث طريقة المشاركة والمراقبة

كمرحلة أولى و بهذا يستهدف عينة من الأفراد وفي نفس الوقت يتسنى له الدخول في توطيد علاقة تسمح له بأن يتعدى الحواجز الموجودة بين المستجوب والباحث، ليتسنى له بعد ذلك القيام سواء بالمقابلة أو الاستبيان لكن يشترط في هذه الحالة أن يعطى الوقت الكافي لتوطيد العلاقة أكثر من الوقت للمقابلة أو الاستبيان، وإذا نجح في تطبيق هاتين الطريقتين فإن الطريقة الثالثة تكون أسهل إلى جانب أن لا بد للباحث إن يطبق على نفس العينة ثلاثة طرق حتى يتسنى له جمع المواد الثلاثة كل واحدة على حد ثم في الأخير يقارن بين كلّ البيانات المجمع عليها في نقطة التشابه بين هذه الطرق الثلاثة، وهي الخلاصة التي يستطيع أن يستنتجها.

وربما العيب الوحيد في هذه المنهجية هي الوقت الطويل المستغرق لهذه التجربة إلا إذا اعتبرنا أن المجتمع هو المخبر لتجاربنا العلمية. فإن الوقت لا قيمة له بالمقارنة مع النتيجة الموضوعية المحصل عليها إلى جانب أنها المنهجية الوحيدة التي تستطيع أن تعطي تكافؤاً كبيراً بين الكمية أو الكم the quantity والنوعية أو الكيف the quality في مجال البحث اللهجي.

المصادر والمراجع

1 -Chambers, J.K. and Peter Trudgill. 1980.

"Dialectology. *Cambridge: Cambridge University Press.*

2- Elizabeth Mary Wright, *The Life of Joseph Wright* (Oxford University Press, 1932)

3-Ferguson, C, A. (1964). Diglossia in Language, Culture and Society. In Dell

4-Francis, W. N. (1983). Dialectology: An Introduction. Longman Group Ltd.

5-Hymes (ed). A Reader in Linguistics and Anthropology. Harper and Row Publishers. 1964. New York.

6-Milroy, L. (1980). Language and social networks. Language in Society 2.

8-Oppenheim, A, N. (1966). Questionnaire design and attitude measurement.

Educational Books Ltd. 1992 edition. Heinemann Educational Books Ltd.

9-Stieblich, C (1986). Interpersonal Accommodation in a Bilingual Setting.

International Journal of the Sociology of Language, 10: 158-176.

10-Trudgill. P. (1974). The Social differentiation of English in Norwich. Cambridge University Press.

11-Trudgill,P. (1992) Language and Society. Penguin Books Ltd

12- الموصلي أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص. عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع 2006

-د. صادق عبد الله أبو سليمان: قطوف- 311992

14-أد / عبد الجليل مرتاض: مقاربة أولية في علم اللهجات. الطبعة الثانية. دار الغرب للنشر والتوزيع 2002.

الهوامش:

1- Trudgill, P. (1992) Language and Society . Penguin Books Ltd, 25ص

2- الموصلي أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص. عالم الكتب للطباعة والنشر، والتوزيع 2006، ص12.

3- مرجع نفسه، ص169.

4-أد / عبد الجليل مرتاض: مقاربة أولية في علم اللهجات. الطبعة الثانية. دار الغرب للنشر والتوزيع، ص09.

5- د.صادق عبد الله أبو سليمان: قطوف- 1992، ص50

6-Milroy, L. (1980). Langu age and social networks. Language in Society 2. Blackwell Publishers Ltd. 4ص

7-Trudgill. P. (1974). The Social differentiation of English in Norwich. Cambridge University Press. 20ص

8- Stieblich, C (1986). Interpersonal Accommodation in a Bilingual Setting. International Journal of the Sociology of Language, 10: 158-176.

9- Francis, W. N. (1983). Dialectology: An Introduction. Longman Group Ltd. ص 130

10- Oppenheim, A, N. (1966). Questionnaire design and attitude measurement.

11- Educational Books Ltd. 1992 edition. Heinemann Educational Books Ltd.

Educational Books Ltd. 1992 edition. Heinemann Educational Books Ltd. ص 66